

الدورة القرائية ٣٦

كتاب العواصم

د. فهد العجلان

المقدمة



Katib_Kitab



<https://kkitab.com>

إعداد مركز رسيل للاستشارات التربوية والتعليمية



يُساق عقل المسلم المعاصر إلى جملة كبيرة من الأفكار والاتجاهات بحبل سلاستها اللفظية البديعة، ومشاعرها الرقيقة، يدهشه زخرف القول عن ملاحظة ما فيها من معانٍ فاسدة.

هذه المقولات المزخرفة لها أثر ظاهر في تمرير جملة من الانحرافات المعاصرة، قد أصبحت قاعدة للاستدلال، وأصلاً للتفكير؛ وهو ما يؤكد ضرورة تنبيه العقل المسلم ليكون واعياً؛ فلا يقع بسذاجة أسيراً لألفاظ وشعارات تتلاعب بمحكمات الدين وأصول الإسلام.



**وإذا كان للباطل مقولاته المتداولة المؤثرة التي تؤسس
لجملة من الانحرافات الفكرية المعاصرة؛ فإن للحق
مقولاته المتداولة كذلك، التي هي من أسباب الثبات
عليه.**

من هنا تأتي فكرة هذا الكتاب، ذلك أن المسلم في هذا
العصر قد انفتحت عليه الشبهات، فهو بحاجة إلى أن
يتمسك بالمحكمات، ويتجنب الخضوع لأي مؤثر يبعده
عنها، وهنا تأتي أهمية التمسك بالمقولات الشرعية
الضامنة التي تصون المسلم عن الانحراف الفكري
المعاصر.

فيسعى الكتاب إلى تأسيس جانب بنائي يحتاج إليه المسلم المعاصر، يعزز الأصول الشرعية التي تحفظه من الانحرافات الفكرية، ويبين أثر ذلك على الشبهات المعاصرة، ويكون مدخلاً يهدف إلى تحصين المسلم من هذه الأفكار المنحرفة.



نريد بالمقولات الضامنة:

عبارات وأقوالاً تتضمن معاني شرعية كلية تصون المسلم المعاصر من الانحرافات الفكرية، فهي مقولة تثبت أصلاً كلياً من أصول الإسلام.

تهدف هذه المقولات الضامنة إلى تعزيز مقاصد عدة تقوي أصول الإسلام وتعزز قطيعات الشرع في نفوس المسلمين.

وهذه المقاصد ترجع إلى تثبيت المعاني التالية:

منهج الفهم الصحيح
لكلام الله، وكلام
رسوله ﷺ.

٣

المصادر التي يقوم عليها
دين الإسلام، والتي يُرجع
إليها في معرفة الأحكام.

٢

الدلائل الموصلة
إلى صحة دين
الإسلام.

١

المنهج الصحيح في
التعامل مع المذاهب
والأفكار والأشخاص.

٦

القواعد والأصول
الكلية التي جاءت
الشريعة بها.

٥

منهج البحث عن
الحق، وتزكية
النفوس.

٤

وهذه المقولات الضامنة تمتاز بخصائص عدة:

الأولى

السهولة والوضوح.

الثانية

عموم النفع.

الثالثة

تقرير أصل كلي.

الرابعة

شمول الأثر.

لماذا يحتاج الناس إلى المقولات الضامنة؟

١

الحاجة إلى تيسير المعاني
الشرعية للعموم.

٢

أهمية البناء، وضرورة
التحصين قبل الابتلاء.

٣

سهولة الانتفاع بها،
وحفظها، وتداولها،
والتواصي بها.

٤

تأسيس منهج كلي للتعامل
مع الشبهات، وتقوية
مهارات الرد عليها.



الفرق بين زخرف القول والمقولات الضامنة:

هذه المقولات العاصمة من الانحراف تتشابه في بعض صفاتها مع المقولات المزخرفة التي تؤسس للانحرافات الفكرية، فكلا الجانبين يقوم على السهولة والمباشرة، واتساع التعامل معها بين شرائح واسعة من الناس، ووصولها إلى المعنى بطريقة مباشرة، وعموم تأثيرها.

فالفرق الجوهرى بين الجانبين هو فى كون هذه المقولات تؤسس لمعانٍ شرعية ثابتة، وأما مقالات زخرف القول فتؤسس لمعانٍ باطلة، ولأن هذه المقولات تؤسس للمعنى الحق، فهذا يجعل أثرها أقوى وأعمق، **ويتضح ذلك بإبراز الفروق المؤثرة فيما يلى:**

I أن مقولات زخرف القول تلبس الحق بالباطل، أما المقالات الضامنة فهي حق، ولو أساء بعض الناس فهمها، فغلط بعض الناس فيها لا يؤثر على صحة المقولة.

٢

أن مقولات الزخرف وإن كانت مؤثرة، فهي كالزبد يذهب جفاء، بخلاف هذه المقولات المعززة للحق، فهي ثابتة، عميقة الأثر، وكلما دُقِّقَ فيها ازداد نفعها وظهر جمالها.

٣

أن مقولات الزخرف ضعيفة لا يمكن أن يبنى عليها، بخلاف هذه المقولات؛ فهي متينة الأساس، يمكن أن يبنى عليها، وتفصل أحوالها، ويجاب عن الإشكالات الواردة عليها.

٤

أن مقولات الزخرف ملبسة، بخلاف هذه الضمانات فهي دليل، ولقوتها يمكن أن يستدل بها على الأحكام والقضايا، وتصون المسلم من الأقوال أو المواقف المنحرفة.

٥ أن مقولات الزخرف مع اتساع تأثيرها فهي غالبًا تقتصر على جوانب معينة، بخلاف هذه المقولات فهي واسعة الأثر، وتزداد توسعًا مع الاجتهاد والبحث والنظر.

٦ أن المقولات الضامنة تستهدف بناء المعرفة الشرعية أو المحافظة عليها، بخلاف مقولات الزخرف، فهي ذات طبيعة هدمية تزعزع البناء القائم.

تقوم المعالجة لهذه المقولات في هذا الكتاب على جانبين أساسيين:

الجانب التطبيقي:

في بيان أثرها في صيانة المسلم من الانحرافات الفكرية.

الجانب التأسيسي:

والذي يتضمن شرح المقولة الضامنة وبيان المقصود بها، والاستدلال لها شرعاً وعقلاً، وإزالة أبرز الإشكالات المثارة عليها.

ويحسن هنا أن نفرق بين:

ما نعنيه بالمقولات الضامنة، وبين الدليل والحكم

فالدليل هو نص يستند إليه لإثبات مدلول؛ كآيات القرآن الكريم، وأحاديث السنة النبوية، فالمقولة الضامنة هنا لا تعني بها كل دليل، وإن كان كل دليل ضامناً.

وأما الحكم الذي يشمل الأحكام التكليفية الخمسة من وجوب واستحباب وإباحة وكراهة وتحريم، فالمقولات لا تعني الأحكام، وإن كانت معرفة الحكم ضماناً من الضمانات.

فالمقولة الضامنة هي العبارات المتضمنة لمعنى كلي يؤثر في أبواب كثيرة، ويصون المسلم من الانحراف، وهو في واقع الأمر سيكون دليلاً، ويتضمن أحكاماً.

وهذه المقولات في الأصل إما آية قرآنية، أو حديث نبوي، أو أثر من آثار السلف الصالح، أو قاعدة فقهية أو أصولية، أو عبارة معاصرة صحيحة.

ويبقى هنا التمييز الصارم في الفرق بين الاصطلاحات وحدودها مجالاً واسعاً لا نستهدف هنا التمييز الصارم فيه، وإنما المقصود السعي لتلبية حاجة تعزيز المعاني الشرعية التي تقي من الانحرافات الفكرية المعاصرة.

مدخل في
فقه الإيمان والثبات



من أهم المعاني التي يجب تقريرها بين يدي الكتاب التأكيد على أصل شرعي مهم في معرفة حقيقة الإيمان وفقه الثبات عليه، بل هو رأس الأمر وعموده، ومن قصّر في ملاحظته وهو يتحدث في القضايا الفكرية المعاصرة، فقد ضيّع كل شيء.

ذلك أن معرفة المقولات الصحيحة، والرد على المقولات الباطلة، لا يكفي بمفرده لصيانة النفس عن الوقوع في الانحرافات، فقاعدة هذه الصيانة الإيمان بالله، ثم الثبات، وهذا الأمر لا يقوم على المعرفة فقط، بحيث إن من عرف فقد حصل الإيمان وثبت عليه، ومن دخل عليه ما لا يعرف فقد ترك الإيمان أو فرط فيه، بل الإيمان معنى أسمى من هذا بكثير، **فهو يتضمن عدة أمور لا بد من ملاحظتها:**

المعنى الأول

ضرورة طلب الهداية من الله، وتجنب أسباب الحرمان

الهداية إلى الإسلام هي نعمة من الله، وتوفيق منه لعباده، كما قال تعالى: {يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [النحل: ٩٣].

ولهذا فمن كتب الله عليه الضلال فلن ينفع معه أي شيء، كما قال تعالى: {وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} [المائدة: ٤١].

إدراك هذا يوجب على المسلم أن يحرص على طلب الهداية من الله، وأن يتجنب ما يوجب عقوبة الحرمان من هذه الهداية، وأن يلزم التضرع والدعاء والالتجاء إلى الله أن يثبته على هذه النعمة.

المعنى الثاني

أن الإيمان يقتضي الانقياد والامتثال

الإيمان يقتضي الامتثال والانقياد لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، فهو ليس تصديقًا قلبيًا مجردًا، بل تصديق في القلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، ولا يكون الإيمان صادقًا إلا إذا تبعه العمل الصالح. ولهذا تكرر كثيرًا في القرآن عطف الإيمان على العمل الصالح: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [البقرة: ٢٥].

ولأن الإيمان مرتبط بالأعمال الصالحة، جاء التحذير القرآني من أثر الذنوب والمعاصي على الإيمان والعمل الصالح، كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا} [آل عمران: ١٥٥].

فالإيمان ليس مشاعر قلبية أو معارف نظرية، بل هو علم وعمل، وطهارة ظاهر وباطن، فالطاعات تغذي إيمان المسلم وتقويه، والمعاصي تضعفه، والعمل لا يقتصر على العمل الظاهر، بل يشمل عمل القلب، كمحبة الله، وخشيته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وصدق الالتجاء إليه.

المعنى الثالث

أهمية بذل الجهد والبحث عن الحق

حتى يستقيم المسلم على الإسلام، ويحفظ له دينه، لا بد أن يجتهد في ذلك ويصدق فيه، فالإنسان دون ذلك من الخاسرين، ويجب عليه أن يتجنب الأسباب المؤثرة على إيمانه، ومنها مجالسة الخائضين في آيات الله.

فالاجتهد من أسباب الثبات على الحق: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: ٦٩]، والإعراض والتفريط من أسباب تركه: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصف: ٥].

ومن المعاني المهمة هنا أن الإنسان ما كان ليضل إلا بسبب ذنوبه وتفريطه، ولو صدق الله لهداه، فالله كريم حلیم رحيم عدل، لن يضل إنساناً عن هدى كان عليه إلا بعمل كان سبباً لخدلانه.

المعنى الرابع

الحرص على تطهير النفس وتجنب الأهواء والأمراض

من المعاني المهمة في الثبات على الإيمان ملاحظة أثر الأمراض والأهواء القلبية على ضلال الإنسان، وهو ما يوجب مراجعة النفس ومحاسبتها. ولا يقتصر الأمر على الجهل وغياب العلم، بل ثم أسباب متعلقة بأمراض القلوب وشهوات النفوس، كحب الدنيا، والغفلة، والحسد، والتعصب، والكبر، وقسوة القلب، واتباع الأهواء.

فالهداية والثبات تحتاج إلى علم نافع، وعمل صالح، ولجوء إلى الله، ومراقبة للنفس ومحاسبتها. كما أن العلم ليس مجرد المعرفة المحضة، فقد يعلم الإنسان الحق ولا ينتفع به.

والإيمان والكفر ليس مسألة ذكاء وغباء، بل هو عبودية واستكبار، وانقياد وإعراض، وعقل وهوى، وتزكية وتدنيس؛ فلا تنفع المهارات والذكاء إذا حضرت الأهواء والشهوات والأمراض.

ومن هنا يجب أن تتضمن المقولات الضامنة نوعين من الضمانات:

الجانب التزكوي:

الجوانب العملية من لزوم
أمر، أو فعل شيء أو تركه،
أو استحضار معنى، أو
الاحتياط له.

الجانب العلمي:

دليل عقلي أو نقلي، أو رد
على شبهة، أو تنبيه على
طريقة في التفكير، أو
مهارة في الاستدلال.



فالضمان يقوم على العلم والعمل جميعًا، ولا ثبات على الإيمان إلا بهما جميعًا، وباجتماعهما يحصل اليقين في قلب المؤمن، وتقوى النفس على العمل، والعلاقة بينهما شديدة التأثير، فالضعف في أحدهما مؤثر على الضعف في الآخر، ومنه تتمدد الشبهات الفكرية المنحرفة.